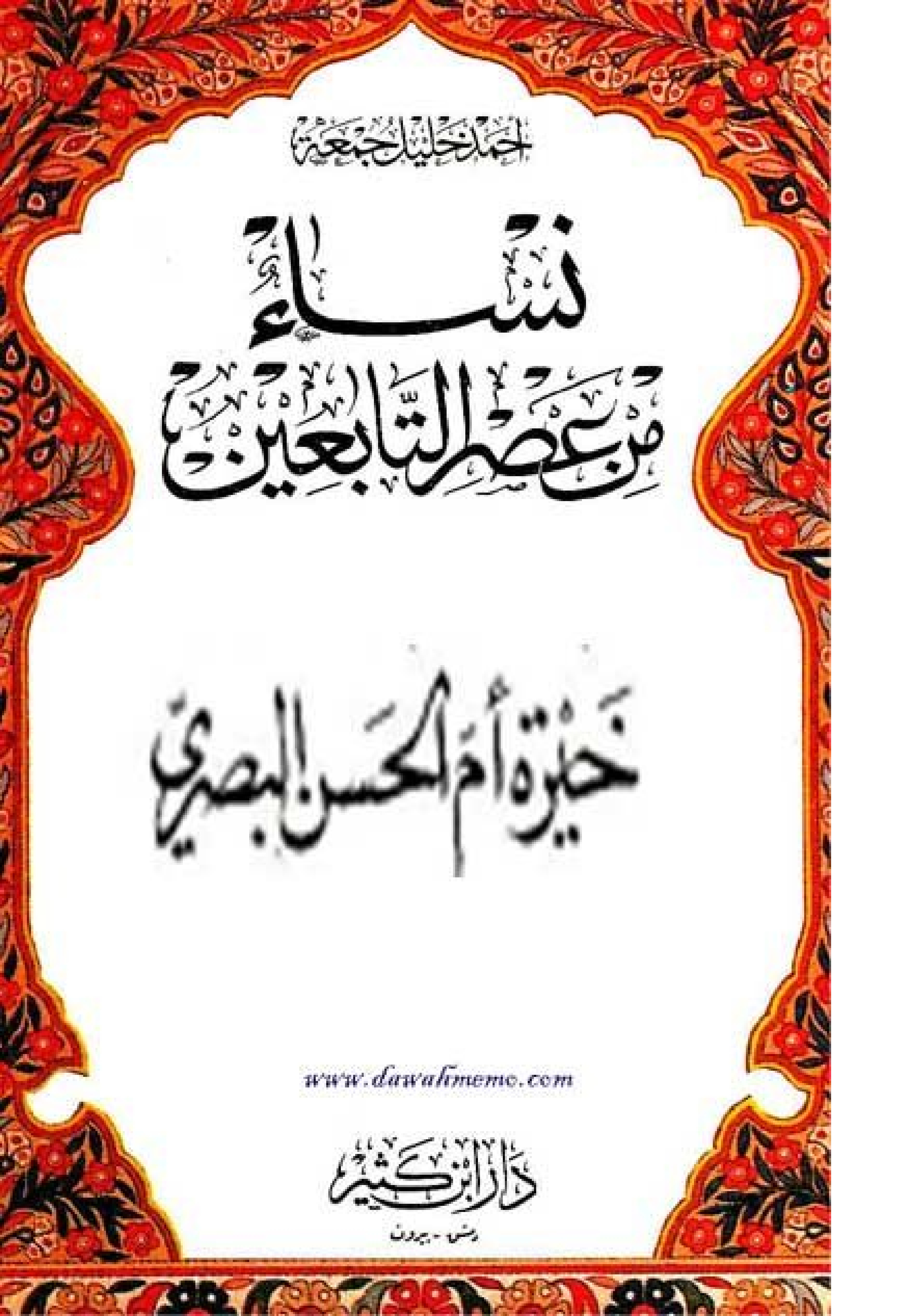

أحمد خليل جمعة
نساء من عصر التابعين
خيرة أم الحسن البصري
www.dawahmemo.com
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

(١١)

خيرة أم الحسن البصري

* مولاة أم المؤمنين أم سلمة ، راوية للحديث النبوي ، ذكرها ابن حبان في الثقات ، روى لها الجماعة كلهم إلا البخاري .

خَيْرَةُ أُمُّ الحَسَنِ البَصْرِيِّ

أُمُّ العُلَمَاءِ :

* تصدّت المرأةُ في عصر التّابعين لفنون العلم ، وأمعنتْ في ذلك إمعاناً سابقت فيه الرّجل ، فكان لها الأثر المحمود في مجالات نافعة ؛ منها الرّواية .

* والتّابعية التي نحن بصدد دراسة سيرتها ، إحدى هؤلاء النّسوة ممن كُتِبَ لهنَّ الخلود في دنيا المعرفة ، وذلك لما كانت عليه من عِلْم وزُهد وفقه ، ناهيك بأنّها ولدتْ رجلين كانا منْ أعظم رجال الدُّنيا علماً وفضلاً وزهداً وأدباً .

* فأولهما وأشهرهما : الحسن بن أبي الحسن يسار التّابعي البصريّ الأنصاريّ ، شيخ أهل البصرة ، وسيّد أهل زمانه في العلم والعمل ، قال عنه محمّد بن سعد ــ رحمه الله ــ :

كان الحسنَ رحمه الله جامعاً ، عالماً ، رفيعاً ، فقيهاً ، ثقةً ، مأموناً ، عابداً ، ناسكاً ، كبيرَ العلم ، فصيحاً ، جميلاً ، وسيماً[1] .

وقال عنه الذّهبيّ ــ رحمه الله ــ :

---

(١) الطبقات (١٥٧/٧) .

كان رجلاً تام الشّكل، مليح الصُّورة، بهياً، وكان من الشّجعان الموصوفين[1].

* وثانيهما: سعيد بن أبي الحسن يسار البصريّ، من ثقات التّابعين، حدّث عن أمّه، وتخرج في مدرستها، وثّقه النسائي وغيره، وكان من خيرة الزُّهاد العباد، وكان يُسمّى راهباً لدِيْنِه، وحديثه في الدّواوين كلّها ـ رحمه الله تعالى ـ.

* أمّا والدة هذين العَلَمَيْن الخَيِّرَيْن، فهي خيرة أُمُّ الحسن البصريّ، وتعرفُ بأنّها مولاة أمّ سلمة[2] أمّ المؤمنين، رضي الله تعالى عنها وعن أمهات المؤمنين.

* كانت خيرةُ ـ رحمها الله ـ من فضليات نساء عصر التّابعين، ومن ثقاتهن، وممن تلقّيْن العلْم عن أمهات المؤمنين، وممن رأينهن، وأخذن عنهن كثيراً من الأحكام النّافعة.

* * *

خَيْرةُ وبدايةُ خَيْرَةٌ:

* كانت خيرة أم الحسن البصريّ مولاةً لأمّ سلمة أمّ المؤمنين المخزومية ـ رضي الله عنها ـ. أمّا زوجها يسار فكان من سبي

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٥٧٢.

(٢) الطبقات (٨/٤٧٦)، ووفيات الأعيان (٢/٦٩)، وأمالي المرتضى (١/١٥٢)، وتهذيب التهذيب (١٢/٤١٦).

« ميسان »[1]، سكن المدينة المنوّرة وأُعْتِقَ، ثم ما لبثَ بعد ذلك أنْ تزوّج من امرأة فاضلةٍ هي خَيْرة مولاة أمِّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ، وذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

* وكانت خَيْـرةُ من خِيرةِ الزّوجات مع أزواجهن إذ كانت ترعى شؤونه، وتقوم على أموره دون أن تُخلّ في خدمتها لأمّ سلمة ـ رضي الله عنهـا ـ. وقد منَّ الله عزَّ وجلَّ على هذين الزّوجينِ المخلصَيْنِ بِخَيْرَةِ الذُّريّة الصَّالحة التي حفظتْ حياتهما فيما بعد عن طريق العلم الذي يزيّن الإنسان ويحيي ذكره، فقد ولدت ابنها الحسن لسنتين بقيتا من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، أي في سنة (٢١ هـ).

* وفي مدرسة أمّ المؤمنين أمّ سلمة تخرجت خيرة وروت عنها، كما أنّها روت عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ.

* وروى عن خيرةَ عددٌ من جلّةِ التّابعين رجالاً ونساء، فأمّا من روى عنهـا من الرِّجـال: فـابنـاها الحسنُ وسعيد، وعليُّ بن زيد بن جُدْعان[2]، ومعاوية بن قرة المزني[3] وهؤلاء من صفوة التّابعين وأكابرهم وثقاتهم.

---

(١) قال ياقوت الحموي: « ميسـان »: كورة واسعة كثيرة القرى والنّخل (معجم البلدان: ٥/٢٤٢).
وقال السّمعاني: هي بُليدة بأسفل البصرة.

(٢) هو علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن جُدْعان، أبو الحسن القرشي التيمي البصري: فقيه، أحد علماء التابعين، من حفّاظ الحديث الأئمة. قال الترمذي: صدوق، وقال أحمد: ضعيف. وقال الذهبي: أحد أوعية العلم في زمانه. توفي سنة (١٢٩ هـ).

(٣) معـاويةُ بنُ قرة بن إياس: الإمامُ الثّبْتُ، أبو إياس المزنيّ البصريّ التابعيّ، والد=

* وأمّا مَنْ روى عنها من النّساء ، فسيّدة التّابعيات حفصة بنت سيرين أمّ الهذيل الأنصاريّة البصريّة ، التي قال عنها إياس بن معاوية : ما أدركتُ أحداً أفضله عليها . وحفظتِ القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة ؛ وفضّلها إياسُ على الحسن البصري ، وعلى أخيها محمد بن سيرين في العلم والعبادة .

* وقد روت خيرة أنّها رأت أمّ سلمة زوج النّبيّ ﷺ تصلّي في درع وخمار .

* وقد روى لها الجماعة كلّهم إلا الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ .

* * *

خَيْرَةُ وأمُّ سَلَمَةَ :

* كانت خيرة ــ رحمها الله ــ ملازمةً لأمّ سلمةَ ــ رضي الله عنها ــ ، فهي مولاة لها ، وكانت تخدمها وتقومُ على شؤونها من أعمال في البيت ، أو عناية بأولادها ، والقيام على أمورهم وما يصلحهم .

* فقد روى الحسن عن أمّه خيرة أنّها كانت ترضع لأمّ سلمة أمّ المؤمنين ــ رضي الله عنها ــ .

= القاضي إياس . روى عن عدد من الصّحابة وروى عنه أكابر التّابعين . وثّقه النّسائي وابن معين والعجلي ، وأبو حاتم وابن سعد ، وذكره ابن حبّان في الثّقات وقال عنه : كان من عقلاء الرّجال . ومن كلامه : لا تجالسْ بعلمك السّفهاء ، وتجالس بسفهك العلماء . توفي سنة (١١٣ هـ) وله (٧٦) سنة ــ رحمه الله ــ . (سير أعلام النبلاء : ٥/١٥٣ ــ ١٥٥) ، و (تهذيب التهذيب : ١٠/٢١٦ و ٢١٧) .

* ويبدو أنَّ خيرةَ كانت تتفانى في خدمة أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ ، وكانت أمّ سلمة تحسنُ إلى خيرة أفضل إحسانٍ إذا ما أرسلتها لحاجتها ، فقد ورد أنَّ أمّ سلمةَ ـ رضي الله عنها ـ كانت تبعثُ خيرةَ في الحاجة ، فتشتغلُ عن ولدها الحسن وهو رضيع ، فيبكي ، فتشاغله أمّ سلمة بثديها فيدران عليه فيرتضع منهما ، فكانوا يرون أنَّ تلك الحكمة والعلوم التي أوتيها الحسن من بركةِ تلك الرّضاعة من الثّدي المنسوب إلى رسول الله ﷺ .

* ومما ورد أيضاً أنَّ أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ كانت تُخرجُ الحسن وهو صغير إلى أصحاب النّبي ﷺ فكانوا يدعون له ، فأخرجته مرّةً إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فدعا له وقال : اللهم فقّهه في الدِّين ، وحبّبه إلى النّاس[1] .

* وبهذا نالت خيرة في ابنها الحسن بركة دعاء سيّدنا عمر ، فكان من خيار التّابعين ، وكان الرَّجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به ، وإنْ لم يرَ عمله ولم يسمعْ كلامه ، وعنه قالوا : ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء .

* ولعل خيرةَ أمّ الحسن قد أفادت كثيراً من حفْظِ أمّ سلمة ومعارفها لانقطاعها إليها ، فأمُّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ من الصّحابيات المكثرات لرواية أحاديث النّبيّ ﷺ ؛ ناهيك بأنّها زوجه ﷺ ، ولعلّها أكثر امرأة روت الحديث وحفظته بعد أمّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله

(١) انظر البداية والنهاية (٢٧٨/٦) ، ووفيات الأعيان (٦٩/٢ و ٧٠) ، وسير أعلام النبلاء (٥٦٤/٤ و ٥٦٥) .

عنها ـ ، فقد روتْ أم سلمة (٣٧٨ حديثاً) ، وهذا العددُ المبارك من الأحاديث جعلها في مقدمة الفقيهات العالمات . ومن هذا الباب انتفعت خيرة بالرّواية عنها ، والاستفادة من علومها ـ رضي الله عنها ـ .

* * *

مَعَ ابْنِهَا الحَسَن :

* أوتيتْ خيرةُ ـ رحمها الله ـ خيراً كثيراً ، لملازمتها أمّ المؤمنين أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ ، وقد كانت هذه التّابعية جيّدة الفَهْم ، كثيرة الحفظ والضّبْط ، فقد ذكرها ابنُ حبّان ـ رحمه الله ـ في الثّقات .

* وكانت خيرة ـ رحمها الله ـ تجلسُ إلى النّساء وتعظُهن ، وترشدهن إلى الأحكام التي تلقّتْها عن أمّ المؤمنين عائشة ، وأمّ سلمة ـ رضي الله عنهما ـ . ويبدو أنّ خيرة كانت تعتدُّ بنفسها وبحفظها بعض الشّيء ، وترى أنّها فوق ابنها في العلم والمعرفة ، فمن طريف ما يروى في هذا ، ما أورده ابن خلكان في « الوفيات » عن الحسن وأمه قال : كانت أمُّه ـ خيرة ـ تقصُّ على النّساء ، ودخل عليها ـ الحسنُ ـ يوماً وفي يدها كرّاثة تأكلها ؛ فقال لها : يا أمّاه ، ألقي هذه البقلة الخبيثة من يدك .

فقالت : يا بني إنّك شيخٌ قد كبرت وخرفت .

فقال : يا أمّاه ، أيّنا أكبر ؟!! .

---

(١) وفيات الأعيان (٧٢/٢) ، وانظر تهذيب التهذيب (٤١٦/١٢) .

* ومن هذا الخبر الطّريف ، نستدل بأنَّ خيرة قد عمرت دهراً لقولها لابنها الحسن[1] إنّك قد كبرت وخرفت . ولكننا لا نستطيع تحديد زمن وفاتها . وأغلب الظّنِ أنّها توفيت في نهايةِ القرنِ الهجري الأول ، والله أعلم .

* رحم الله خيرة أمّ الحسن ، وأحسن مثواها ، وجعلها مع الأخيار الأبرار في مستقر رحمته .

* * *

(١) توفي الحسن سنة (١١٠ هـ) رحمه الله .